فراس خطيب

«فزاعة» الخطر الديمغرافي

البروفسور أرنون سوفير: لا حلّ بيننا! «إسرائيل قد تصبح دولة ديكتاتورية»

لا ينكر البروفسور أرنون سوفير خوفه من إزدياد العرب في إسرائيل ويحاول جاهداً في كل مناسبة تذكير السياسيين الاسرائيليين بأن الخطر قادم، والخطر هو إزدياد العرب.

يؤيد سوفير الانفصال عن غزة بكل ما أوتي من قوة، ليس حباً بالانسحاب لا بل خوفًا من إستمرارية السيطرة على الشعب الفلسطيني الآخذ بالازدياد داخل الحدود الاسرائيلية.

في مكتبه في قسم الجغرافيا في جامعة حيفا يدقق سوفير في خرائطه التي تملأ المكتب وفي الاحصائيات التي يبادر إليها ويتوصل دائمًا الى نتيجة وهي: اذا لم تجد إسرائيل حلاً للعرب سيضيع حلم الدولة اليهودية.»

كلمة «سوفير» (العبرية) تعني «يعّد» بالعربية، ولا يتردد بعض الساسة الفلسطينيين في اسرائيل عن تسمية أرنون سوفير بـ«أرنون الذي يعد العرب»، ويمازحون في جلساتهم قائلين: «أرنون سوفير يستيقظ في كل صباح ويبدأ بعد العرب فردًا فردًا».

لكن أرنون سوفير ينكر كل الأقاويل السياسية التي تتهمه بالعنصرية، ويقول في هذا الصدد: «يحاولون دائمًا تشويه اسمي. أنا لا أنكر أني لدي مشكلة في موضوع الديمغرافية» ويضيف: «أنا أريد الحفاظ على يهودية الدولة، بالمقابل أريد أن يعيش العرب والاقليات الاخرى في أمن وسلام كما هو وارد في وثيقة الاستقلال»، ولا ينكر أنه تمنى أن يستيقظ ذات يوم ويجد أن العرب في سورية ولبنان ولكنه مقتنع اليوم –على حد قوله– انه لا بديل عن العيش مع العرب مع ضرورة المحافظة على يهودية الدولة.

عمل سوفير مع كل الفئات السياسية الاسرائيلية بمن فيهم رئيس الحكومة الحالي، أريئيل شارون، ولديه الكثير حول السياسية

الاسرائيلية، ولا ينكر في حواره هذا: «أخاف أن أستيقظ صباحاً وأجد إسرائيل دولة ديكتاتورية».

كان لنا هذا الحوار المطوّل مع أرنون سوفير في مكتبه في جامعة حيفا.

*** قضايا اسرائيلية: يقتبس منك السياسيون دائماً في كل ما يتعلق بموضوع الديمغرافية.. نريد ان نفهم وجهة نظر عامة حول الموضوع؟**

– للموضوع الديمغرافي أوجه عدة، فهذا الموضوع موجود في الاكاديمية منذ أيام مالتوس (رجل الاقتصاد الانكليزي في ١٧٩٢) الذي تكلم عن الخطر الديمغرافي؛ ومنذ ذلك الحين لم يتوقف العالم عن طرح هذا الموضوع. التوجه الديمغرافي خلق أسئلة كثيرة مثل: هل لدينا ما يكفي من طعام؟ ماذا يفعل الازدياد السكاني للاقتصاد؟ باختصار، موضوع الديمغرافية موجود دائما على جدول الاعمال العالمية، ثمة من إعتمد على المعطيات الديمغرافية وتنبأ بحرب.

*** إذا كان هذا الموضوع جديّا الى هذا الحد، فلماذا توجد فئات لا تحبذ طرح هذه الفكرة؟**

هناك جهات لا ترغب بالحديث عن الديمغرافية، فهي تشّم من هذا التوجه رائحة عنصرية وخاصة اليسار الاسرائيلي. يسألون دائماً: «لماذا تدخل قضية الولادات في الامور السياسية؟». ولكنّي أقول مع هذا: إن الدولة التي تريد أن تكون ديمقراطية مجبرة على الاخذ بعين الإعتبار عدد سكانها ومستقبل هذا العدد، وهذا لا يعني أننا لسنا متساوين، كلنا متساوون، ولكن الموضوع مطروح طيلة الوقت، وكل من يتكلم عن الديمقراطية يتوجب عليه أن يتذكر أن في النهاية ستظهر قضية الاقليات، لا يوجد مفر من ذلك. هناك العديد من القصص المتشابهة في العالم، خذ على سبيل المثال: قضية كندا مع «كوبيك»، الصينيون في «التبت»، وعندما انفصلت الهند عن الباكستان. هذا موجود اينما كنت في العالم.

*** لنركز على ضرورة الديمغرافية في إسرائيل؟**

– نعم، لنفترض انه ستكون انتخابات، وفي إسرائيل توجد نسبة ٢٠ في المائة يهود و٨٠ في المائة عرب، هل ستبقى إسرائيل

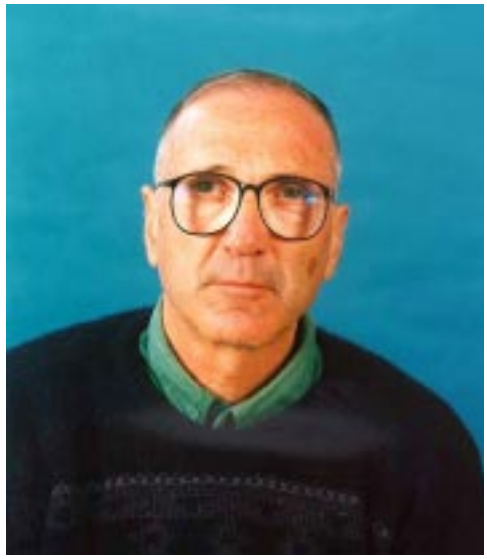

ارنون سوفير

دولة صهيونية؟ مع لغة عبرية وأعياد عبرية؟ أم انها ستكون دولة عربية تضم أقلية يهودية؟! أنا دائما رغبت بأن أعيش في دولة يهودية يعيش فيها العربي مع حقوق كاملة ومتساوية، ولكن مع الإعتراف بالحقيقة التي تقول إنّي أحتاج ان تكون كل الدولة لي والتي اعتقد بأنها لي أصلاً.

*** ولكن إذا كان خوفك من إزدياد العرب فأنا أقول لك أن التوقعات الديمغرافية التي تنال جلّ اهتمامك لم تصدق، فمنذ أوائل الثلاثينيات والاختصاصيون الديمغرافيون يتوقعون ويتوقعون ولكن توقعًا لم يصدق؟**

– نعم، هذا صحيح، أنا سأقول لك لماذا، لو أنّي عملت في التوقعات الديمغرافية منذ العام ١٩٣٠ كنت سأفشل، وهذا طبيعي كوني لم أتوقع «الكارثة» التي حلّت بالشعب اليهودي في اوروبا، وحتى لو أنّي توقعت ديمغرافيا للعام ١٩٥٠ كانت حرب الستة أيام ستأتي وتقلب كل التوقعات؛ ويسري هذا الكلام أيضًا على العام ١٩٧٠ وكان من الممكن ان تخيب توقعاتي كون الهجرة الروسية الاولى كانت في طريقها الى هنا، إلى «أرض إسرائيل». ولكن أن نأتي اليوم ونقول: إن التوقعات الديمغرافية لن تصدق وكل شيء على ما يرام فهذا توقع اجرامي بالنسبة لي. مجرم من يقول إن الوضعية اليوم سليمة، تعرف لماذا؟ لأن في اسرائيل اليوم يعيش ١ر٥ مليون يهودي و ٣ر٤ مليون عربي في جميع انحاء البلاد (مع

- أنا لا أعطي الشرعية للامم المتحدة التي يقف على رأسها كوفي عنان، هذا الانسان الذي كان مسؤولاً عن سفك الدماء في راوندا، وقضاة «هاغ» هم مجموعة سفهاء تناولوا القضية بشكل سطحي ولم يهتموا بالجانب الامني واليهودي لدولة إسرائيل وبحثوا فقط عن المشكلة القانونية الرسمية التي تخصهم. أنا لا اقبلهم. وانا سعيد من أن الولايات المتحدة الاميركية تفكر مثلي. هذه عصابة لا تهمني، الامم المتحدة مؤلفة من ٢٠٠ دولة، ودولتان فقط من تلك الدول تؤيدان إسرائيل وكل العالم يقف بجانب العرب بسبب النفط، كل القضية مبنية على مصالح فرنسية واوروبية. هل يتوجب علي الانتحار بسبب ذلك ؟ أنا لا اعير الامم المتحدة اهتماماً.

الضفة والقطاع)، وفي ظل معطيات كهذه يأتي احدهم ويقول لي إن كل شيء على ما يرام، فهذا ليس مقبولاً علي. أين الدولة اليهودية؟ ما هو الذي على ما يرام؟ ماذا؟ ينتظرون طرد العرب من هنا؟ كل من يقول جملة: «سيكون على ما يرام» يؤمن بأن العرب سيطردون من هنا يومًا ما.

*** ولكن نظرتك هذه ليست مقبولة أيضًا على الكثيرين؟**

– صحيح، لا مفر لي من التعامل بهذه الصورة مع التوقعات. التعامل مع الديمغرافية ليس بالضرورة سياسياً، يتوجب علينا معرفة مستقبل عدد السكان من أجل تهيئة الأرضية لذلك، على سبيل المثال: تحضير محطة للطاقة، توسيع الجامعات، ماذا عن الشوارع؟ كل الاجابات سأعرفها حسب حجم المجمع السكاني.

*** ولكن توجهك المطروح على جدول الأعمال سياسي صرف خاصة ضد العرب في إسرائيل؟**

– معك (العربي داخل اسرائيل ف.خ) لا توجد لي الكثير من النقاشات اليوم، قضيتي مع السياسيين الاسرائيليين، سأقول لهم: أيها المجانين! عدد العرب سيصبح ٧ر٦ مليون وانتم فقط ستة ملايين. هذه دولة يهودية صهيونية؟ كيف تجرؤون على التكلم معي عن ارض اسرائيل الكاملة؟ أنا سأريكم ما سيكون في العام٢٠٢٠، قضيتي هي الحفاظ على الدولة اليهودية وليست ضدك.

*** ولكنك ذكرت في أكثر من مناسبة أن العرب تهديد، واقترحت الانفصال عن المثلث، كان هذا في مقابلة مع رامي روزن في صحيفة «كول بو»؟**

– نعم كان هذا في العام ٢٠٠٠، لقد قلت إن الوسط العربي وبعض من قادته أمثال: هاشم محاميد وعبد المالك دهامشة، لا يريدوننا. فقلت في حينه: إذا كنتم لا ترغبون بالعيش معنا فإنتقلوا للجانب الاخر، ستكون لكم دولة وستملكون هناك كل شيء، وهذا ما علق في أذهان السياسيين، عادوا على كلامي ولكني عدّت وكررت انه من المستحيل الانفصال عن مواطني دولة اسرائيل عن طريق تبادل احادي الجانب، ولكن الحديث عن هذه القضية كان شرعيًا جدًا عندما يكون هناك إتفاق. انا قلت اننا لا نستطيع ان ننفصل من جانب واحد، ولكن هذا شرعي بين دولتين. شرعي، شرعي.

*** ولكن هذا ليس ممكنا، وأنت تعلم: ٩٦٪ من سكان المثلث لا يقبلون هذا المخطط؟**

– أعلم هذا جيداً، ولكني اتحدث عن شيء نظري وليس عمليًا. أنا أقول دائمًا: عندما يتحسن وضع الفلسطينيين في الداخل سوف ينسون الوطنية العربية فهم لا يهدّدون اسرائيل. من يسكن الرملة ويافا لا يهدد اسرائيل وعددهم حوالي نصف مليون. تريد شيئًا؟ أستطيع التعايش مع نصف مليون لخمسين عامًا إضافيًا. وشيئًا آخر؟ اذا كان العربي راضيًا فلن يخيفني.

*** لقد نشروا في «هآرتس» أنك إقترحت «غيتوهات» للعرب؟**

– أقول لك مرة اخرى ان هذا يغيظني. هذا شاب سحيق، كان رئيس «رابطة الطلاب الجامعيين» اسمه فايغنبويم. جلس على كرسيك وسألني: «إذا كان هناك إرهاب غير منقطع من مناطق ام الفحم وعرعرة، ماذا بإمكاننا أن نفعل؟» عندها أجبته: «لن يكون مفرٌ وسنضطر لاغلاق هذه المنطقة حتى ولو بجدار». عندها سألني: «إذًا ستكون غيتوهات؟». أجبته: «في هذه الحالة ستكون غيتوهات في ام الفحم». ماذا كتب هذا الشاب في النهاية؟ لقد كتب: «يقترح بروفسور ارنون سوفير إدخال كل العرب في إسرائيل في غيتوهات!». هذه وقاحة وإفتراء.

صحيفة «هآرتس» نشرت المقال بالخط العريض، وكتبت لاوري نير قبل ان تنشر المقابلة بيوم، إنه افترى عليّ الى حد فظيع. لقد كانت محادثة مبنية كلها على: إذا وإذا وإذا، ولكن هل أنا اقترحت مرة في تاريخي ان ندخل قرية عربية معينة الى «غيتو»؟

أنا أريد أن أصغّر المشكلة: لا اريد ان تكون القدس الشرقية إسرائيلية. لا توجد لي مشكلة مع الدروز واستطيع أيضًا ان اضم المسيحيين مع الدروز، وطبعاً لا يوجد خطر امني كامن في المسلمين الذين يسكنون الرملة واللد ويافا وحيفا، وبعد هذه الحلول سأجد فقط ٦٠٠ الف فلسطيني في البلاد، وعندها أستطيع التوافق معهم.

*** ولكنك قلت: «تسليم مناطق المثلث لايد فلسطينية بجانب الحدود الاسرائيلية من دون أم الفحم، باقة الغربية والطيبة، هي الطريقة الوحيدة لحل المشكلة الديمغرافية الصعبة. خذوا بالحسبان انه بعد ٢٠ سنة ستضاعف هذه المجموعة نفسها و ٤٠٠ الف عربي اسرائيلي يعيشون في المثلث سيتحولون الى ٨٠٠ الف» اربما يناقض هذا ما إدعيته من قبل؟**

– نعم، عندي مشكلة معكم (العرب في اسرائيل) وسوف تبقى للأبد، لسبب بسيط جداً: بعد ١٥ عاماً ابتداءً من اليوم سيكون ستة ملايين يهودي مقابل مليوني فلسطيني، هؤلاء العرب لن يتقبلوا نشيدي الوطني وعلمي الازرق والابيض وصهيونيتي، ما لك ولروح اليهودي؟ من الواضح أن هذه حال تراجيدية، وقلتها ذات مرة لثمانين ضابطًا من الجيش الإسرائيلي، لقد قلت: لدينا مشكلة جدية ولا حل عندي لها. العربي لن يصبح صهيونيًا وليس بامكانه ان يكون كذلك، وأنا لست معنياً بذلك. لقد قلت: تعالوا لنعطي العرب الحقوق المدنية الكاملة، ليس لانني اريد ان أطيّب خاطرهم لا بل لانني اريد ان انظر لنفسي في المرآة واشعر شعوراً سليمًا مع نفسي، أنا مجبر على مواجهة العرب دائماً. ستكون لي مشكلة معكم في هذا المجال الى الابد، ولكن أنا أريد أن أصغّر المشكلة: لا اريد ان تكون القدس الشرقية إسرائيلية. لا توجد لي مشكلة مع الدروز واستطيع أيضًا ان اضم المسيحيين مع الدروز، وطبعاً لا يوجد خطر امني كامن في المسلمين الذين يسكنون الرملة واللد ويافا وحيفا، وبعد هذه الحلول سأجد فقط ٦٠٠ الف فلسطيني في البلاد، وعندها أستطيع التوافق معهم.

*** الصحافي حاغاي سيغال كتب في «معاريف» في العام ٢٠٠٣: «بروفسور ارنون سوفير المستشار الديمغرافي الرئيسي في مدرسة الانفصال يتكلم عن عرب اسرائيل والعمال الاجانب، حتى يهددنا باغلبية غير يهودية في البلاد خلال سنوات قليلة، هل هذا منطقي وصادق أن نسميهم من ناحية احصائية العدو الفلسطيني، مع ان قسماً منهم يخدم في الجيش الاسرائيلي ويقتل في العمليات؟»**

– (يغضب): هذا انسان كاذب، أنا سأقول لك لماذا، لو أني أتيت الى حاغاي سيغال وقلت له: «تعال نقيم عشرات القرى البدوية ونمنح السكان العرب في اسرائيل كل الحقوق» سيقول: «لا لا، هم لا يخدمون في الجيش ولا يضحون من اجل الدولة». حاغاي يلعب لعبة مزدوجة ومن الصعب عليه التعامل معي.

*** تعال ننسى حاغاي سيغال الآن، أنا أسألك، نفرض أن إسرائيل انفصلت عن الفلسطينيين في غزة والقطاع والضفة، ماذا ستفعل مع مليوني عربي داخل إسرائيل؟**

–لا مفر من مليوني عربي: ولكن يجب أن أصغر هذا الرقم لأنني لا اريد القدس الشرقية، لا توجد لي مشكلة معكم.

*** ما رايك بتصريح نتنياهو في «مؤتمر هرتسليا» العام الماضي الذي قال عن العرب داخل اسرائيل انهم المشكلة الأكبر وقنبلة موقوتة؟**

– سيء وفظيع، نتنياهو حصل على هذه المعطيات مني ولكنه

الانفصال عن غزة: دوافع ديمغرافية

استعملها بطريقة سيئة وغير صحيحة.

*** سؤال أخير في هذا الصدد.. هل ستؤيد تحديد النسل؟**

– أنا اقترحت شيئًا آخر وهو قانون «سنغافورة»، وقلت إني أريد التوجه للحريديين (اليهود المتزمتين) وللمسلمين وأقول لهم: تريد أطفالا؟ تفضل، ولكن لا تطلب مني أن أدفع لك. هذا ما ينص عليه القانون السنغافوري وقد لقي نجاحاً منقطع النظير، وهذا الرأي ليس نابعًا من نيّة يهودية. يجب علينا أن نفهم أن في الـ ١٥ عامًا المقبلة ستشهد إسرائيل ازديادًا سكانيًا يعادل ٥ ملايين انسان، و ستصبح هذه الدولة جافة جدا وصغيرة جداً من دون مياه ومن دون بنى تحتية ملائمة. وسننحدر نحو العالم الثالث. لقد قلتها لشارون: «سوف نتدهور ونصبح دولة من العالم الثالث، واذا كنا عالماً ثالثاً، سيهرب من هذه الدولة كل من يستطيع الهرب».

«الانفصال سوف ينقذنا»

*** ما رأيك بالانسحاب من غزة؟**

– سوف ينقذنا

*** كيف من الممكن ان تكون راضياً عن الإنفصال عن غزة مثلاً، وتتنازل بهذا عن «المكان الذي انت فيه»، كيف سيكون صاحب آراء متعصبة مثلك راضياً؟**

– أعرف أنك كعربي كنت تتمنى هذا الصباح ان تقوم من دون ان يكون هناك ولا أي يهودي، وأنا أيضًا مثلك، أتمنى أن أستيقظ صباحًا وأجدكم في سورية أو في لبنان، مع سلام جميل بيننا.

*** هذا ليس ممكناً وانت تعلم؟**

– نعم ولكن هذا ما أردته. أنا شخصيا لم ارغب بأرض إسرائيل

الدخول الى غزة، هدم البيوت، القناصة.. نحن الآن في حرب، اتركني.. هذه حرب فرضت علي، انا لم أبادر لهذه الانتفاضة. أنا احارب الآن ولهذا لا يسألون في الحرب اسئلة من هذا النوع. ولكني اعتقد ان الجيش الاسرائيلي هو جيش اخلاقي بصورة غير عادية.

الكاملة من ناحية سياسية أبدا. كنت اعرف دائماً انكم تعيشون هنا: (يشير سوفر الى الخارطة التي إلى جانبه) انت تعلم ما هذه الخارطة؟! سافرت بهذه الخارطة الى شارون بعدما إتصل بي عشية إنتخابه لرئاسة الحكومة. ما هي هذه الخارطة؟ هذه خارطة لكل الاحزاب الصهيونية: العمل والليكود والطريق الثالث، أنا عملت معهم جميعا، تناقشت مع رابين وبيبي وشارون وباراك، لانني انسان غير مسيّس. انا حقاً صديق الجميع. اقترحت هذه الخارطة، وتقول هذه الخارطة ان علينا تقسيم اسرائيل. هذه خارطة بعيدة عن فرض سلطتي على غزة والمناطق. (كانت الخارطة هي خارطة اسرائيل وفلسطين).

*** أنت تقترح خارطةً نهائية لا يمكن التوصل الى إتفاق من خلالها. لن يرضى أحد بخارطة تبتعد عن الخط الأخضر؟**

– اذا عدنا للخط الاخضر فعلينا إزالة ٢٠٠ الف مستوطن و١٨٠ الف نسمة من القدس. من يعتقد أنه بامكاني فعل ذلك فهو لا يفهم إسرائيل. ما الذي فعلته أنا؟ مشيت في طريق ملتوية كي يتبقى ٨٠٪ من المستوطنين داخل اسرائيل. ولكن أن آتي اليوم واقول: يجب ازالة كل المستوطنات التي تراها هنا (على الخارطة) ٥٠ مستوطنة أي ٥٠ الف انسان. فهذا ليس معقولاً.

*** لماذا لا تنتظر محادثات السلام وتحدد موقفك وماذا يمكن فعله؟**

– تعال أنا وأنت لننظر إلى الخارطة، في حالة عودتنا الى حدود ١٩٦٧، ماذا سيتبقى لنا نحن اليهود؟ غزة المنفصلة عن الخليل؟ الخليل المنفصلة عن السامرة بسبب القدس؟ ماذا سيتبقى؟ هذا يعني ان هؤلاء اليهود سيتركون فلسطين «أ» وفلسطين «ب» وفلسطين «ج» وسيعودون الى ما قبل الخط الاخضر. ولكن كيف سنمر من مكان إلى آخر؟ عن طريق الممرات التي منحونا إياها؟ لن يسمحوا لنا أبداً، وطيرانهم سيحلق فوق رؤوسنا، لن يعطونا «فيلادلفي» ولا «غورالاردن» ولا «الحرم الشريف» فهم يقولون إنه من مقدساتهم. سوف يذلوننّا بشكل لم تذل به اية دولة في العالم. هكذا عرفات نظر الى الخارطة، في الطريقة التي أنظر إليها أنا الآن، ولهذا لم يسرع لتحقيق السلام، لان السلام الذي سوف يناله هو سلام إذلال باعتقاده. هل تعتقد ان عرفات فكّر بطريقة تختلف عني؟ هل يستطيع ان يفكر بصورة مختلفة؟ هل بامكانه تقبل طرح آخر في حالة وجود هذا الطرح؟ الانتصار له.

*** قرار الانفصال عن غزة: هل نبع من الخطر الديمغرافي وحسب؟ أم انه انكسار عسكري، أم بداية لموافقة إسرائيل على ما طالبت فيه الأمم المتحدة؟**

– إذا أراد الجيش الاسرائيلي البقاء ١٠٠ سنة في غزة فهو يستطيع. هل شاهدت ما قام به الجيش الإسرائيلي هناك؟ هل رأيت الدمار والخراب الذي خلّفه؟ كان هذا مؤلماً بالنسبة لي كيهودي صهيوني. بإمكان الجيش الإسرائيلي أن يفعل أكثر من هذا بكثير فهو يملك قوة كبيرة. ولكن الدوافع الديمغرافية هي التي دفعت الجيش الإسرائيلي إلى الإنسحاب من غزة، فلا يوجد لنا ما نفعله هناك، هذه ليست مناطق تابعة لأرض اسرائيل ولا تضيف شيئاً لحاضرنا. ماذا من الممكن أن نفعله هناك؟! أنا متأكد من أن إسرائيل ستنفصل عن مناطق إضافية بعد الانسحاب من غزة، وهذا ما يريده شارون.

*** لكن شارون لا يتطرق أبداً الى هذا؟**

– ما يجري اليوم هو أكاذيب الجميع يقولون إن الأمر مقتصر على غزة فقط، وهذا ليس صحيحاً، يقولون كلامًا فارغاً. شارون

يملك خطة، وثمة خطوات عملية بعد الانسحاب من غزة، ولكن ليس بمقدوره التحدث عن مخططاته في هذه الآونة تحديدًا فلن يكون هذا مقبولاً على اليمين.

*** اريدك ان تفسر لي اكثر، كيف ترى انت خطةالانفصال عن غزة؟ ماذا سيأتي من بعدها؟**

– ننفصل عن شمال السامرة، بعدها مباشرة سنعلن عن أننا ماضون في الخطة لأن الفكرة ناجحة. السؤال الذي سيطرح: حسنا تركنا غزة، يهودا والسامرة والخليل، ماذا بعد؟ هناك ثلاثة إحتمالات: الرجوع الى ما قبل الـ ٦٧ وغزة تعود إلى مصر والضفة إلى الاردن وسيخسر الشعب الفلسطيني وطنًا. أما الإحتمال الثاني هو نيل مصر كل المنطقة والاحتمال الثالث هو الخراب وعندها ستضطر قوى عالمية ان تدخل الى هنا. هذه الاحتمالات الثلاثة التي اراها، واذا دخلت قوات عالمية أستطيع تخيل وضع قوات عالمية التي ستتسبب بفوضى أكبر، ولكن هناك احتمال اخر، ان تحمي القوات العالمية الفلسطينيين، ولكن سيتابع الفلسطينيون اختراق اسرائيل عندها ستضربهم إسرائيل بشكل فظيع.

«جدار الفصل حسب سوفير»

*** انت من المخططين للجدار وأنت من الاوائل الذين رسموا خارطة الجدار.**

– نعم، اتصل بي شارون لكي آتي له بالخارطة.

*** وبنوا الجدار بناءً على ما اقترحته؟**

– صحيح، (يخرج من جاروره خارطة للجدار)، خارطة شارون بنيت حسب هذه الخارطة التي أمامنا. بعدما أنهينا العمل على الخارطة ناقشت شارون على التفاف الجدار حول مجمعين سكنيين بالقرب من نابلس (مشيراً الى هذا في الخارطة): «من اجل هذين المجمعين السكنيين تدخل حتى نابلس؟» سألته. هل تعلم؟ بعد يومين أعلنوا في التلفزيون عن أنه تخلى عن هذه الفكرة وانه تبنى فكرتي. كانت خارطتي هي الفكرة والاساس. ففي حالة عدم وجود جدار ستأتي نهاية دولة اسرائيل اليهودية الصهيونية. نحن مجبرون على أن يكون جدار كي نفصل. شرحت لك كيف بنيتها حسب خرائط الاحزاب الاخرى، وشارون فعل ما قلته.

*** من الممكن الانفصال عن الفلسطينيين بطرق إنسانية أكثر كما هي الحال في كل العالم. لماذا الجدار؟**

–لا لا، هذا ليس صحيحاً ما تقوله الآن، أريد أن أسألك، ما الذي قاله رئيس بلدية ام الفحم؟ لقد قال إن الجدار جيد لام الفحم في مقابلة له في صحيفة «هآرتس»، ما تدعيه أنت ليس صحيحا.

*** أنا قابلته بعد التصريح مباشرة وقال انه جيد لإسرائيل وسيء لاخوتنا في الضفة، هذا ما قاله، وقد اعترف وقتها أن الجدار سيئ للفلسطينيين وهذا ما أتحدث عنه الآن..**

– أنا كنت في باقة الغربية ورأيت أن الناس راضون هناك، كلهم راضون، نتيجة الفوضى التي كانت من قبل.

*** لا يحق لاحد التحدث باسم أهالي باقة والمثلث، هناك معارضة شديدة للجدار، والفلسطينيون في الداخل يرفضون قطعياً تواجد الجدار، ودعك من العرب الذي يسكنون إسرائيل، الفلسطينيون يعانون وراء الجدار وهذه هي النقطة التي أتحدث عنها الآن.**

– ولكن لماذا لا تسأل: «من تفجّر وانتحر في حيفا؟».

*** ليس كلّ الفلسطينيين.**

– صحيح، ولكن هل تملك حلاً آخر؟ هدف الجدار هو حماية دولة اسرائيل، نقطة، حتى لو لم يرض البعض بهذا الحل. لا خيار لنا وهذا ثمن الصراع. ماذا تريد بعد أن مات ألف يهودي وجرح ألفان؟ الجدار هو الطريقة الوحيدة التي ستحافظ على يهودية الدولة وصهيونيتها وديمقراطيتها.

*** حتى لو كانت الامم المتحدة ضد، والمحكمة في هاغ ضد وجمعيات حقوق الإنسان ضد؟**

– أنا لا أعطي الشرعية للامم المتحدة التي يقف على رأسها كوفي عنان، هذا الانسان الذي كان مسؤولاً عن سفك الدماء في راوندا؛ وقضاة «هاغ» هم مجموعة سفهاء تناولوا القضية بشكل سطحي ولم يهتموا بالجانب الامني واليهودي لدولة إسرائيل وبحثوا

فقط عن المشكلة القانونية الرسمية التي تخصهم. أنا لا اقبلهم. وانا سعيد من أن الولايات المتحدة الاميركية تفكر مثلي. هذه عصابة لا تهمني، الامم المتحدة مؤلفة من ٢٠٠ دولة، ودولتان فقط من تلك الدول تؤيدان إسرائيل وكل العالم يقف بجانب العرب بسبب النفط، كل القضية مبنية على مصالح فرنسية واوروبية. هل يتوجب علي الانتحار بسبب ذلك ؟ أنا لا اعير الامم المتحدة اهتماماً.

*** اذا حكم قضاة هاغ شيئا آخر لصالح اسرائيل وقالوا انه يجب ان يكون جدار، هل كنت تقبل بهذا الشيء؟**

– لماذا يجب علي أن أعيرهم انتباها؟ انا لا اقبل أي تحكيم من قاض مصري واردني ومادغشقري وسوري .اسف! هم ليسوا مسؤولين عن حياتي وليسوا شرعيين بالنسبة لي. هذا عالم مع مصالح سياسية صهيونية. ثلث العالم دول عربية، هل بامكانهم ان يكونوا صهاينة؟ قل لي بنفسك، هل بامكانهم ان يكونوا صهاينة؟

لقد فرحت في تلك الليلة، كان عمري ١٢ عاماً عندما ولدت الدولة اليهودية. لم أكن انا من بدأ الحرب، ولست انا الذي ذبحت الناس. الدول العربية هي التي اتت بالكارثة على العرب. العدل هو ان يتجه الفلسطينيون الى الذين أوقعوا الكارثة عليهم.

*** الوضع حاليا صعب جدًا، هناك جلسات في المحكمة العليا طيلة الوقت عن الجدار حتى من داخل اسرائيل، هناك من يريد ان يكون الجدار في حدود ٦٧، اذا اين خارطتك وخارطة شارون؟ اين سيذهب حلمك؟ هل ممكن وضع يكون فيه الجدار في ٦٧؟**

–خطأ فادح، المحكمة العليا لن تغير خارطة الجدار، سيبقى الجدار في مكانه، لا يمكن إعادة الجدار الى الخط الأخضر. لما إعادة الجدار إلى هناك؟ هل الخط الاخضر هو حدود يجب ان نأخذها بالحسبان؟ الخط الأخضر هو نقطة زمنية لوقف إطلاق النار وليس حدوداً عالمية وليست خطًا عالميًا مثل حدود مصر او سورية، توقف جيشان في حينها وقررا أن هذه حدود بشكل مؤقت، لم تكن هناك حدود عالمية والخط الاخضر ليس القرآن ولا التوراة.

*** إذن بهذا تقول إنه لا يوجد حل بين الفلسطينيين وإسرائيل؟**

– نعم، هذا صحيح، لن يكون حل ويجب الأخذ بعين الاعتبار ان المجانين من الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني لن يتنازلوا عن القدس. لا تنسى انك تتكلم الآن مع يهودي علماني، فأنا أقل جنونًا. ولكن الوضع مختلف تماماً عندما تتحدث مع ثلث شعبي (الاسرائيلي)، لن يتنازلوا عن الجدار ولا عن القدس. انا شخصياً لا ارى حلاً لقضية اللاجئين ولن تستطيع القيادة الفلسطينية اليوم أن تخون اللاجئين بعد كل هذه السنوات، بالمقابل لن يكون تقبل لقضية اللاجئين في إسرائيل فلن يعود هؤلاء الى قراهم ولن يعاد بالطبع ٤٠٠ الف دونم . باختصار أنا أستصعب ان يكون هناك حل.

*** ألا ترى أنه من العدل ان يعود هؤلاء الذين تركوا بيوتهم الى مكانهم؟ اذا كنا نبحث عن حل عادل؟**

– لقد فرحت في تلك الليلة، كان عمري ١٢ عاماً عندما ولدت الدولة اليهودية. لم أكن انا من بدأ الحرب، ولست انا الذي ذبحت الناس. الدول العربية هي التي اتت بالكارثة على العرب. العدل هو ان يتجه الفلسطينيون الى الذين أوقعوا الكارثة عليهم.

*** وكأنه لم يكن إحتلال ولا نكبة ولا تطبيق للخطة «د» من قبل اليهود القادمين؟**

–الناس لا يفهمون الخطة «د». الخطة «د» لم تتكلم أبدًا عن طرد الناس.

*** لقد وصف بعض المؤرخين الأعمال التي كانت في العام ٤٨ بأنها أعمال بشعة في قسطها الأكبر؟**

– لقد تقبل اليهود قرار الامم المتحدة بسرور، لكن العرب لم يتقبلوه. العرب قتلوا إناساً في «بيت شيمن» وفي «غان يافنيه» وهناك كانت بداية الحرب التي لم نبادر لها نحن. كان دخول الدول العربية منافيًا لقرار الامم المتحدة ولتحذيراتها وكل التقارير العربية قالت إن اسرائيل ستنتهي خلال بضع ساعات، ولكننا خرجنا منتصرين.

*** لكن أنا أتحدث عن تطهير إثني؟**

–كان «تطهير إثني» نتيجة هذه الحرب التي تكلمت عنها الآن.

*** إذن انت توافق أن الذي كان هو تطهير إثني؟**

–انا اوافق مع الذي حدث.

سوفير عن جدار الفصل العنصري: خارطتي هي الأساس

*** لا لا، انت توافق انه كان هناك تطهير إثني أم لا؟ لنبدأ من هذه النقطة؟**

– في النتيجة كان هناك «تطهير إثني»، والسؤال: من المذنب؟ لنسأل هذا السؤال. كان تطهير إثنيّ في بولندة وطردوا ثلاثة ملايين. طردوا كل الالمانيين من جنوب التشيك. لقد حاربني شعب وانتصرت عليه، وهذا الانتصار أجبر الشعب الخاسر على دفع ثمن فظيع. أنت تتكلم مع انسان كان طفلاً (سوفير يقصد نفسه ف.خ) في حرب «التحرير». لقد قتل ١١ إنسانا بجانب بيتي ووضعوا رؤوسهم في سوق «يفنه». لقد هرب في اليوم التالي كل سكان «يفنه»، هذه حالة شاهدتها وجربتها وتعلمت منها بنفسي، ماذا سأقول لك؟ هذا مثال، وعلى فكرة هذه بداية الحرب، قبل ان يقوم اليهود بعملية «دير ياسين».

*** أنت تعطي الشرعية لكل ما كان في العام ١٩٤٨؟**

– هذا ليس صحيحا، لم اقل اني أعطي الشرعية، ولكن انا اقبل الذي حصل في ٨–١٩٤٧ كنتيجة الحرب التي فرضت علينا، على يهود اسرائيل.

*** ماذا تتوقع؟ أن تقاسم الناس أراضيهم وتقول أن الحر ب فرضت؟**

– فرضت، هذه حرب لم نخترها.

*** كيف فرضت وكانت خطة للاحتلال؟**

– أنت تغير التاريخ بشكل فظيع، صحيح أن برامجنا كانت في الجارور، مثلما عندي اليوم خطة لاحتلال دمشق وبيروت

والعراق. كل جيش في العالم يحضر خططاً، ما العيب في ذلك؟ هل يعني ذلك اني ساقوم بهذه الحرب؟ ولكن من ناحية إستراتيجية يتوجب عليّ ان اكون جاهزًا للاسوأ. لم تفكر «الهغناه» باية حرب في ذلك اليوم، فرحنا لولادة الدولة اليهودية. في ذلك اليوم بدأ العرب بذبح اليهود، افحص اذا كنت صادقًا هل حدث ذلك أم لا، سوف تفاجيء.

*** في عودة لقضية اللاجئين بعد الحرب: اذا اخذنا جميع الحالات التي كانت في التاريخ، حتى في ايرلندة كان اللاجئون يعودون إلى بلادهم بعد انتهاء الحرب؟**

– ليس في حالة عالمنا، ليس في الهند او كالكاتا، ولا في فيتنام ولا في روسيا ولا في اوروبا. هذا ليس صحيحًا. كل من هرب من المانيا تم إستيعابه في «بافاريا» ويعيش اليوم هناك.افحص هذا، سوف تتفاجأ. اقرأ التاريخ بنفسك، كم من اليونانيين والاتراك يعودون الى بيوتهم؟ كل واحد ذهب في طريقه.

«لا علاقة لي بوثيقة كينغ»

*** هل كانت لك علاقة بوثيقة «كينيغ»؟**

– قرات «كينيغ» فعلاً، لم اقترح ولا مرة الذي اقترحه كينيغ. يتهمونني دائماً بهذه العلاقة. أحيانًا تولد إفتراءات لا تدري من أين تأتيك، أعطيك مثلاً: في العام ١٩٨٧ أشتركت بمؤتمر مع رحبعام زئيفي (غاندي) في تل ابيب، حضّرت معلومات ديمغرافية للمؤتمر وقام غاندي من بعدها وقال: «أنا أقبل بالذي قاله أرنون». وأعلن بهذا عن انشاء «موليديت» حزب الترانسفير. عندها اعتقد الكثيرون أن زئيفي أنشأ الحزب بسببي وأنني أيدته. لقد دعاني زئيفي عندما أسس الحزب وذهبت الى هناك وقلت لهم انهم مجانين. ومنذ ذلك الحين وهم يزعمون اني مسؤول عن «ترانسفير» وهكذا الحال مع وثيقة «كينيغ».

*** ما رأيك بخطة كينيغ التي كانت انذاك؟**

– سخيفة وفظيعة، ماذا يعني ان نبعثك الى خارج البلاد ونمنعك من العودة؟ أقول لك مرة اخرى: انت مواطن في إسرائيل، علي ان اعيش معك حتى لو لم أرغب بهذا. لا اتعامل مع الكلمة «كره» ابداً لانني لا اجد أي سبب لأن أكرهك. سيدي، انت ترى وسوف افعل كل شيء كي تكون حياتي وحياتك لطيفة. هذا موقفي. صحيح انك اخ للفلسطينيين وأخ للعالم الاسلامي وهناك مشكلتي وسوف اعمل كل ما أستطيع فعله كي لا تكون عندي مشكلة. هذا هو طرح «أرنون سوفر».

*** ماذا تعني لك الصهيونية؟**

– أن يسكن الشعب اليهودي في أرض اسرائيل، لان هذا الشعب عانى معاناة لا يمكن تصورها، والمكان الوحيد الذي جذب اليه هذا الشعب على مدى السنوات هو هذه المنطقة، هذا المكان، القدس والخليل وطبريا، ولقد كان هنا طيلة السنوات الماضية. اريد ان تكون دولة إسرائيل بيتًا قومياً لليهود. وأن تكون صهيونياً يعني ان تتكلم العبرية وأن تحتفل بالاعياد اليهودية وألا تخجل من كونك يهوديًا. هذا المكان الذي تبقى لي وأنا هنا. هذه الصهيونية بالنسبة لي.

*** هل تترجم الصهيونية كما تراها الان بشكل جيد في هذه الدولة؟ كثيرون يقولون ان الدخول الى غزة معناه ضياع الصهيونية، او بالعكس، هناك الذين يدعون ان اخلاء المجمعات السكنية هو ضد الصهيونية.**

– لا أتاثر من هذا النوع من الدعاية. الدخول الى غزة، هدم البيوت، القناصة.. نحن الآن في حرب، اتركني.. هذه حرب فرضت علي، انا لم أبادر لهذه الانتفاضة. أنا احارب الآن ولهذا لا يسألون في الحرب اسئلة من هذا النوع. ولكني اعتقد ان الجيش الاسرائيلي هو جيش اخلاقي بصورة غير عادية. لو أنك تعلم فقط كيف يتحدث الضابط مع جنوده: «يا جماعة أريدكم ان تتعلموا عن رمضان» اشياء لن تصدقها. نحن دولة يهودية وصهيونية جداً، مع اعياد يهودية وصهيونية وثقافة عبرية ممتازة، اتمنى ان نحصل على العديد من جوائز نوبل بسبب المواهب الموجودة عندنا، وأتمنى كما تقول التوراة ان يعيش الانسان غير اليهودي وان يكون راضياً.

*** وهل هدم المنازل واقتلاع المجمعات السكنية هي أمر صهيوني؟**

-أكيد انه صهيوني.يجب اقتلاع المجمعات التي مكانها غير صحيح. كفى «خربطتي».

*** ماذا يقلقك في اسرائيل اليوم؟**

إسرائيل في الطريق لتضييع ديمقراطيتها في عدة مجالات، أخاف من أن أستيقظ يوماً ما واجد اسرائيل واقعة بين يدي نظام ديكتاتوري واعرف من سيكون الدكتاتور. يقلقني هذا. هناك عدة عوامل تؤدي الى هذا الشعور: محكمة العدل العليا، هذه الكنيست الفظيعة، أعضاء الكنيست المخجلون، التربية التي تتفكك هنا. لا يقلقني ان يتفكك اليسار هنا لانه لم يعد مهما، اريد أن يتفكك اليمين المجنون ايضا لان «الترانسفير» الذي يقترحونه ليس واقعياً. يجب أن نبحث عن الحلول والكلمات، عن الحياة، عن الدولة اليهودية، عن التعايش مع العرب في اسرائيل، عن البنى التحتية التي نسيناها.

*** لندخل قليلاً الى قضية السياسة في الاكاديمية، ماذا يجري اليوم بين اليمين واليسار حسب رأيك؟ لنستعرض الامور في جامعة حيفا إن شئت؟**

-انت تعرف المصطلح «أن تنقض على باب مفتوح» عندما تسأل سؤالاً واضحاً من دون تفسير، يشبه بالضبط مثلما تركض على فتح الباب ولكن الباب مفتوح، فتطير الى الجانب الاخر. منذ ان انضممت الى جامعة حيفا قبل أربعين عاماً وأنا أصادف الكثير من اليمينيين. الاغلبية صامتة، وهناك مجموعة صغيرة من اليسار ولكن اليسار يفتعل ضجة: مثل إيلان بابيه (مؤرخ إسرائيلي يساري ف.خ) الذي يقرع الطبول طول النهار. ولكنهم كانوا دائما قليلين. هكذا كان الوضع دائما. ينتقل الناس من اليمين الى اليسار، ومن اليسار الى اليمين، يتغيرون، ولا توجد الكثير من الحركات. ساقول لك اكثر من ذلك اعتقد ان الذين ذهبوا الى «هشومير هتسعير» او الى اليسار المتطرف هم اناس متطرفون دائما، الرجل المتطرف الموجود اليوم في «هشومير هتسعير» من الممكن أن يكون غدا يهودياً متديناً. لان المتطرف هو متطرف هو متطرف في كل مكان. هناك مجموعة مكونة من ٢-٤ شخصيات يفتعلون هذا أيضاً.

*** هل يتبع ايلان بابيه لهم؟**

- حسب رأيي ايلان بابيه ينتمي الى مجموعة خانت الصهيونية اصلا، ولكن الآخرين يتحركون داخل الصهيونيه، قليلاً الى اليسار وقليلاً الى اليمين. ايلان بابيه واوري دايفيس خانوا.. والصحافي جدعون ليفي والصحافية عميره هس من صحيفة «هآرتس» خانوا اليهودية، هم موجودون في العالم العربي.

*** سؤال أخير، سأذكر لك بعض الشخصيات الاسرائيلية، وقل لي رأيك عنها بجملة.**

اريئيل شارون؟

انظر، أنا اعرفه منذ سنوات عديدة كسياسي وكرجل عسكري كبير وجدي، لست راضياً من الطريقة التي يدير بها الحكومة، لنقل انه ليس صديقي، نحن زملاء ولنا مصالح مشتركة صهيونية، وهذا كل شيء.

شمعون بيريس؟

بيريس؟ كلا، اظن انه ممثل، فنان غير عادي. يتحدث بلغة عالية ويقترح افكاراً مجنونة، أعرفه منذ سنوات عديدة وفي كل مرة يستعمل كلمات جميلة. اتخذ الكثيرمن القرارات الخاطئة.

ايهود باراك؟

شاب عبقري، ربما ليس بشوشا.من الصعب التحدث معه. عبقري وذكي جداً. استلطفه كثيراً.

من تعتقد من القادة الفلسطينيين انه يستطيع القيادة؟

بدون ادنى شك سيكون مروان برغوثي يوما ما، انا اعرفه، نعم، هذا ما اعتقده.